رابعًا: الحسنة والسيئة:

﴿وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك قل كلٌ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا. ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[1].

انتهى بنا الحديث في الصفحات السابقة إلى أحد مظاهر تثقف المجتمع العربي بثقافة الإسلام في فهم أفراده ـ المفسرين ـ دلالات الألفاظ. وإلى أثر قواعد الإسلام نفسه، ومفاهيمه، في تكوين التراكيب اللغوية على نحو يعطي دلالة معينة عندما يضع اللغوي التركيب في سياقه الثقافي.

وقد تضمن التحليل في ذلك الجزء لفظي الحسنة والسيئة. وهما مثالان مهمان من أمثلة التغير الدلالي بأثر التغيرات الفكرية التي حدثت في المجتمع العربي بدخول الإسلام.

وتحت هذا العنوان، يمكننا أن نجمع عشرات الألفاظ، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والعيد، والدعاء، والرسالة، والجهاد، والكفر والضلال، ونظير ذلك كثير.

هذه التغيرات الدلالية، قد تبقي مضيقًا على استعمالها في نطاق نصها، أو موضعها الذي تم فيه التغيير، إن كان التغيير قد حدث اصطلاحًا في علم من العلوم الإسلامية أو التي نشأت في ظل ثقافة الإسلام، أو لأن الاختيار اللغوي الجماعي، غير المتعمد، لم يقع عليها.

وقد يوسَّع نطاق استعمالها، بدلالاتها الجديدة، فيخرج إلى الاستعمال الإيصالي (لغة التفاهم والتواصل بين الناس) أو إلى الاستعمال الأدبي في لغة الشعر والنصوص العالية، وقد توظَّف في مفارقات أدبية متعمدة، تعوِّل الصنعة الفنية فيها على تعدد الدلالة أو الفرق بين حالتها الدلالية القديمة والجديدة ـ أيًا كانت طبيعة هذا الفرق وصفته ـ بحيث تنتج منه مفارقة مثيرة للدهشة المميزة للغة الأدبية.

وقد استعملت بعض هذه الألفاظ في القرآن الكريم بمعنييها العربي القديم، والإسلامي الجديد، واقتصر على المعنى الجديد فقط في بعضها الآخر.

وكان لفظا الحسنة والسيئة من النوع الذي ذكر في القرآن بمعنييه، والذي عم استعماله في المستويات اللغوية المختلفة خارج النص القرآني، وكل إنسان يعرف في

---

(١) النساء: ٧٨ ـ ٧٩، وبحثها ص٣٩١، من مشكل ابن قتيبة.